خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العز يز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود و الإمام المهدي عليه السلام

يوم 28 /2013/6

في الجلسة السنوية في ألمانيا

لقد وفَّق الله تعالى الجماعة الإسلامية الأحمدية في ألمانيا لعقد جلستها السنوية التي تبدأ اليوم وستستمر إلى ثلاثة أيام بإذن الله. وبالإضافة إلى ذلك تبدأ اليوم جلسات في بعض البلاد الأخرى أيضا ولا سيما في الكبابير وأميركا. وقد أظهر أمراء تلك الجماعات رغبتهم في أن أذكر جلساتهم أيضا في الخطبة لأن جلساتهم أيضا تبدأ من اليوم. معلوم أن الوقت الآن في أميركا سيكون صباحا باكرا، وأما في الكبابير فيكونون قد صلّوا الجمعة، أما الجمعة في أميركا فستبدأ بعد ست ساعات من الآن، غير أن جلستهم الختامية في اليوم الأخير تتزامن مع جلستنا الختامية هنا، لذا سوف يشتركون في خطابي الأخير والدعاء بإذن الله.

الفائدة الإضافية من عقد الجلسات في مختلف البلاد في يوم واحد هي أن الإخوة يكونون مجتمعين في بلادهم للجلسة فيستفيدون من خطاباتي الحية، وبذلك يصل صوت الخليفة إلى عدد كبير من أفراد الجماعة. لا شك أن عددا لا بأس به من أفراد الجماعة في العالم يسمعون فعاليات الجلسة مباشرة ومع ذلك أرى أن هناك عددا من الإخوة الذين لا يسمعونها إذ يقول بعض الإخوة من تلك البلاد التي ذكرتها مثل أميركا وغيرها أنهم سيحضرون الجلسة في اليوم الأخير ولكن أكبر عدد من الأحمديين يستمعون إلى خطبة الجمعة على أية حال. لا شك أن توقيت الخطبة هنا لا يطابق توقيت الجلسات في البلاد الأخرى، ولكن ما دام الإخوة يكونون قد اجتمعوا بنيّة الاشتراك في الجلسة لذا يستمعون إلى الخطبة والخطابات حيثما كانوا، أي يسمعها عدد أكبر مقارنة مع الأيام العادية.

وفي خطبة اليوم أريد أن أذكّركم ببعض الأمور المتعلقة بأهداف الجلسة أي تلك الأهداف التي بيّنها المسيح الموعود عليه السلام. لا شك في أنه تكون هناك حاجة للتذكير دائما لكي يبقى الإخوة متوجّهين إليها في أيام الجلسة وليجعل الإخوةُ هذه الأمور والنصائح جزءا من حياتهم لا يتجزأ بعد أيام الجلسة أيضا، وهذا يتبين من عمل كل أحمدي، ولكن كل ذلك يعتمد على مدى تركيز الإنسان، فعندما ينتبه الإنسان إلى النصائح يظهر ذلك في أعماله، لأن الناس في هذا العصر منشغلون في الأمور الدنيوية كثيرا وبالتالي تغلبهم الأشغال الدنيوية، مما يؤدي إلى التهاون في أداء الفرائض والنوافل. بعد الاشتراك في الجلسات

يكتب الإخوة إليَّ ويقولون بأن أيام الجلسة الثلاثة قد غيّرت حالتنا رأسا على عقب، وقد مرت هذه الأيام كأننا في عالَم آخر، فقد عشنا عالما روحانيا من نوع خاص، ويطلبون الدعاء أيضا أن تستمر هذه الحالة معهم.

فتغلبهم هذه الحالة في أيام الجلسة وتترك تأثيرها على جميع المشاركين بحسب الحالة الروحانية لكلٍّ منهم. ولكن هناك مَن ينسون ذلك سريعا وينسون أيضا ما تعهدوا به أثناء سماعهم الخطابات التي أُلقيت في الجلسة، وينسون أيضا ما عاهدوا الله به على الاستمرار في الحسنات. فمنهم من يشعرون بهذا التأثير إلى بضعة أيام، ومنهم من يشعرون به إلى بضعة أسابيع، وكثير منهم يبقون على هذا الحال إلى عدة أشهر، بينما يبقى هذا التأثّر الطيب على بعض الناس إلى سنوات طويلة. فهذه هي الحقائق التي لا نستطيع أن نغضّ الطرف عنها. فلما كانت الأغلبية تستفيد من هذا التأثير لفترة وجيزة لذا أمر الله تعالى بالتذكير والنصيحة بالتكرار، وكرّر أيضا أمْرَه بخلق الأجواء التي توجّه المؤمنين إلى الحسنات وإلى أداء واجباتهم ومسئولياتهم وإلى فحص أنفسهم وأعمالهم. إذًا، لقد منّ المسيحُ الموعود عليه السلام علينا منة عظيمة بتأسيس الجلسة إذ نجد في أثنائها فرصة لإصلاح أنفسنا على مستوى الجماعة وللاستفادة من الغذاء الروحاني وننتبه إلى أداء واجباتنا ومسئولياتنا.

فكما قلت من قبل، أريد الآن أن أقول شيئا عن أهداف الجلسة وغايتها في ضوء كلام المسيح الموعود عليه السلام، الذي تبين منه كيف كان المسيح الموعود عليه السلام يريد أن يرى المشتركين في الجلسة، وكيف كان يريد أن يرى الأحمديين بشكل عام. ولكن قبل أن أبدأ بذلك أريد من المسئولين أن يخبروني إذا كان الصوت يصل إلى نهاية الخيمة. *(وقد أخبره الإخوة برفع الأيدي في الجزء الأخير في الخيمة وقالوا بأن الصوت يصلهم على ما يرام، فاطمأن حضرته بذلك وقال مستأنفا الحديث):* يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"....لتميل قلوب الإخوة إلى الآخرة ميلا كاملا، وتنشأ فيها خشية الله تعالى وليكونوا أسوة حسنة للآخرين في الزهد والتقوى وخشية الله والورع ورقة القلب، والحب المتبادل والمؤاخاة، وأن ينشأ فيهم التواضع والانكسار والصدق، وليتحمسوا للمهمات الدينية".

لقد بين المسيح الموعود عليه السلام في هذه الكلمات الوجيزة نهج الحياة الكامل الذي يجب أن ينتهجه كل أحمدي، فقال أنه يجب أن يُحدث المشتركون في الجلسة في أنفسهم تغيُّرا حسنا ليكونوا نموذجا في الزهد والتقوى للآخرين. لو تأمل المرء في هذا الكلام لوجد في كل كلمة منه نصيحة عظيمة من شأنها أن تستأصل السيئات من جذورها. والمراد هو منع النفس عن الأهواء النفسانية وكبتُ العواطف السيئة بحيث تُغلق كل الأبواب على أهواء النفس فلا تنشأ في القلوب أية رغبة زائفة. من المعلوم أن الإنسان لا

يستطيع أن يقطع علاقته كليّا مع كل الأشياء التي خلقها الله تعالى في هذا العالم، وعلى ذلك، ليس المراد هنا أن تقطعوا علاقتكم بالعالم تماما. المراد من الزهد أن يمنع الإنسان نفسه من الأهواء والرغبات الزائفة. لقد أمر الله تعالى بالتحديث بنعمه أيضا، وعدم الاستفادة من هذه النعم يُدخل في عدم الشكر. لقد ورد في الأحاديث أن بعض الصحابة تعهدوا أنهم سيصومون ولا يفطرون، وقال بعضهم أنهم لا يتزوجون النساء ويقيمون الليالي كلها. سمع النبي ﷺ منهم هذا الكلام قال: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.

إذًا، الزهد الحقيقي هو ألا يجعل الإنسان إشباع الرغبات الدنيوية نصب عينيه بل فليأخذ من الدنيا ما هو جائز ومسموح مراعيا مقتضى الاعتدال. فإذا استفدتم من الأشياء المادية واضعين رضا الله تعالى في الاعتبار فهذا هو الزهد. أما إذا جذبتكم المغريات الدنيوية والأهواء النفسانية بعد مجيئكم إلى البلاد الغربية فلا فائدة من حضوركم الجلسات، كذلك لا فائدة من بيعتكم المسيح الموعود عليه السلام. يقول المسيح الموعود عليه السلام: عليكم أن تخلقوا الزهد في أنفسكم لأنكم إذا تحليتم بالزهد عندها فقط تعرفون الروح الحقيقية للتقوى. والمراد من التقوى أن تكون في قلب الإنسان خشية الله وألا يصدر منه عمل يُسخط الله. ويجب ألا تكون خشية الله نتيجة خوف عقابه بل يجب أن يكون مَثلها كمثل خوف المرء سُخطَ أقرب القريبين إليه. وهذا لا يمكن أن يحصل إلا إذا كان حب الله فوق كل حب آخر. وهذا النوع من الحب لا يتسنى إلا إذا كان الإنسان على علاقة شخصية بالله تعالى وكانت لديه معرفته، وكان محور الحب هو ذات الله تعالى.

فهذا هو الهدف الذي يجب على كلٍّ منا أن يسعى للوصول إليه. لقد نصحنا المسيح الموعود عليه السلام مرارا وتكرارا وبأساليب مختلفة للوصول إلى هذا الهدف من التقوى. فيقول في أحد خطاباته:

إنه من الضروري جدا – لنصح أفراد الجماعة – أن يقدَّم النصحُ لهم للحصول على التقوى بالتكرار لأنه من الواضح عند كل عاقل أن الله لا يرضى إلا بالتقوى. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

فعندما ننصح أفراد الجماعة مرارا وتكرارا فالسبب من ورائه هو أننا نعلن بعد بيعتنا على يد المبعوث الرباني في هذا العصر أننا قد أرضينا الله تعالى ببيعتنا للمسيح الموعود أو بسبب بيعتنا رضي الله تعالى بنا، فالآن علينا أن نسعى جاهدين للعمل بأوامر الله تعالى كلها، وإن لم نعمل بها فلا معنى لادّعائنا، ولا حقيقة لبيعتنا إن لم نتقدم في التقوى. الآية التي أوردها المسيح الموعود عليه السلام في عبارته المذكورة قبل

قليل توضح المراد من التقوى إذ تقول بأن التقوى الحقيقية هي للذين هم من المحسنين. والمراد من المحسن هو الذي يعامل الآخرين بالحسنى ويراعي عواطفهم ومشاعرهم، والذي يملك العلم، ويجعله علمه يسلك مسلك التقوى.

انظروا كيف وجّه المسيح الموعود عليه السلام الأنظار في كلامه إلى الزهد أولا وقال بأن عليكم أن تجعلوا أهواءكم تابعة لرضا الله تعالى. ثم قدّم مثالينِ في ذكره التقوى ونصح من خلالهما أن عليكم أن تضحّوا بعواطفكم من أجل الآخرين وتنفعوهم، وإذا فعلتم ذلك لكنتم متقين وفائزين برضا الله تعالى.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في مكان آخر: "إن جماعتنا بحاجة ماسة للتقوى بوجه خاص – ولا سيما من منطلق أنهم ذوو صلة وداخلون في جماعة شخص يدّعي أنه مبعوث من الله تعالى – لكي ينجوا من كل الآفات مهما كانوا متورطين في أنواع البُغض والضغائن أو الشرك، أو مهما كانوا متوجّهين إلى الدنيا."

لقد ادّعى المسيح الموعود عليه السلام أنه مبعوث من الله تعالى، وهذا الادعاء ليس أمرا بسيطًا، ثم أنتم بايعتموه، والبيعة أيضا ليست بأمر بسيط، لأنه عليه السلام يقول: إنني ادّعيت أني مبعوث من الله، ولسوف يتم إصلاح العالم على يدي بإذن الله. والآن بواسطتي يعرف العباد ربهم وينشئون صلتهم به، وبواسطتي وعلى أيدي أتباعي ستروَّج الأخلاق الفاضلة التي أوصى الله بها في شرعِه الأخير القرآنِ الكريم الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

فلأداء حقوق العباد، لا بد من تخليص أنفسكم من كل حقد وضغن، أي لا بد لكم من أن تنفضوا من بواطنكم كل الأحقاد، وتصفّوا قلوبكم وتصقلوها كالمرآة، وتطهّروا نفوسكم من كل شرك من أجل أداء حقوق العباد. إذا تجنبتم الخوف من الماديين عُبّادِ الدنيا، وتخلصتم من التهافت على الدنيا ومتعها، وهو ما ينسيكم الله تعالى ويلهيكم عنه ويحط من مستوى عبادتكم، فعندها تكونون أهلاً للبيعة. وهذا محال بدون التقوى. إن كنتم تريدون أن تؤدوا حق البيعة، فعليكم بإحداث هذا التغيير في قلوبكم وإصلاح نفوسكم. إذا أحدثتم هذا التغيير الطيب في أنفسكم نجوتم من آفات كثيرة.

لقد حذّرنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام بهذا الخصوص تحذيرًا شديدا بكلمات شديدة جدًا حيث قال:

إن الله تعالى رحيم وكريم، كما أنه قهّار ومنتقم. إنه حين يرى أن جماعة يقومون بدعاوى عريضة بألسنتهم، وسلوكُهم لا يصدّق هذه الدعاوى، فإن غيظه وغضبه يثور عليهم.

نسأل الله تعالى ألا نرى غيظه وغضبه أبدًا، بل نكون من الذين يسعون دومًا بكل ما أوتوه من قوة وكفاءة مراعين تقوى الله، ويسألونه رحمته وفضله دائمًا وتشملهم رحمته وفضله فقط.

ماذا علينا أن نفعله وكيف يجب أن يكون سعينا لبلوغ هذا المستوى؟ يجيب سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

إن كل الصالحات التي يقوم بها الإنسان نوعان: فرائض ونوافل. والفرائض ما هو فرض واجب عليه، كأن يدفع المرء ما أخذه من دَين، أو كأن يجزي على الإحسان بالإحسان.

أقول: ولكنا نرى أن بعض الناس يقترضون ولكن عند الأداء يماطلون، بينما نجد المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يقول هنا إن أداء القرض فرض واجب عليك، كما أن رد المعروف بمعروف فرضٌ واجب عليك. ثم يقول حضرته:

وهناك نوافل مع كل فرض، أي القيام بعمل صالح زائد على الفرض، كأن يدفع المرء لصاحب المعروف أكثرَ من معروفه، أو أن يُخرج صدقات أخرى مع الزكاة. والذين يفعلون هذا يكون الله وليًا لهم، وقد أعلن الله تعالى أنه يوالي وليه حتى يكون يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولسانه الذي يتكلم به.

فهذا هو إلهنا الذي لا يجزي على كل عمل فحسب، بل يكون وليًا لعبده هذا، فتنفتح أمام هذا العبد مِن طرق ولاية الله وحفظه له ما لا يخطر له ببال.

ولكن كيف يبلغ المرء هذا المقام، ومتى؟ يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام: إنما سبيله أن تجزي على الإحسان بالإحسان، وإذا صنع أحد معك صنيعًا فعليك أن تتحين الفرص لرد صنيعه، بل تزيد على صنيعه.

هذا ما يفعله المؤمن الحقيقي. ولو أن كل فرد في المجتمع يردّ على معروف غيره بمعروف أكبر، ويتحين الفرص ويفكر دائمًا ليجزي على إحسان صاحبه بإحسان أكبر، فبالله عليكم هل يمكن أن يكون أفراد هذا المجتمع يعملون لمصلحتهم الشخصية؟ كلا، بل يصبح المجتمع مجتمع السلام والحب والوئام. ولو فعلوا كل ذلك ابتغاء مرضاة الله فلا يمكن أن يُعدّ ويحصى ما يَنزل عليهم من أفضال ونعمٍ مِن الله الذي هو عليم بذات الصدور، وأكبرُ مَن يجزي العباد، بل يجزي بما لا يخطر ببال.

فهذه هي الروح التي يجب أن نتحلى بها عند فعل الخيرات. يجب أن نفعل الخير بدون أي غرض إلا ابتغاء مرضات الله. ويجب أن نقوم بالنوافل إلى جانب الفرائض في عباداتنا وغيرها من الأعمال، لكي نفور برضا الله تعالى. يجب ألا نقوم بالأعمال لمصلحة مادية، ويجب ألا نرد على إحسان الآخر طمعا

في منفعة من العباد، بل يجب أن يكون كل عمل من أعمالنا لوجه الله تعالى. وهذه هي التقوى الحقيقية، وهذا هو اللب الذي يقدره الله تعالى، وإلا فإنه قد أعلن أنه في غنى عن عباداتنا وقرابيننا الشكلية. إننا نؤدي الصلاة التي أُمرنا بها، وهي فريضة من الفرائض، وهي معراج العبادة، وقد قال الله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، وقد فرض على الرجال أن يؤدوها جماعةً، وبدون انقطاع، وفي ميقاتها كما ذُكر في القرآن الكريم مرارًا، ولكن هذه الصلاة نفسها تصبح ويلاً وثبورًا لبعض المصلين كما أخبرنا الله تعالى في القرآن. فحريٌّ بنا أن نفكّر لماذا يكون العمل الحسن مدعاة هلاكٍ لبعض عامليه. الجواب ببساطة: لقد أمَرنا الله تعالى بفعل كل خير على أساس التقوى، بتعبير آخر إن الله تعالى لا يريد القشر، بل يريد اللب الذي داخله. إذا كانت صلواتنا لا تخلق فينا مشاعر المواساة تجاه الآخرين، فلنعلم أننا صلينا في الظاهر فقط، وأن صلاتنا تخلو من اللب الذي لا بد منه. نرى أن الفواكه ذات القشور تبدو أحيانًا جميلة جدًا من خارجها، ولكنا نعلم عند قشرها أن لبها لم يكتمل أو أنه مسوس، أو أحيانا نأكل لب اللوز بشوق، ولكن نجده مرًّا. فعلينا عند العمل بأحكام الله تعالى أن نحافظ على هذا اللب والثمر الذي يقبله الله تعالى. ولكن هذا لا يتأتى إلا إذا ولّدت صلواتنا وعباداتنا فينا مشاعر المواساة والعطف على الآخرين بالإضافة إلى أن توصلنا بالله تعالى.

بفضل االله تعالى تبني جماعتنا في ألمانيا أربعة أو خمسة مساجد سنويا، وتتاح لي فرصة افتتاحها بفضل الله تعالى، وفي كل مناسبة افتتاح تقريبًا أقول إن مسؤولية الأحمديين الساكنين في هذه المنطقة قد ازدادت بعد بناء هذا المسجد، لأن بناءه وحضوره لأداء الصلاة ولو خمس مرات ليس بشيء في حد ذاته، بل الأهمّ أن يساعدكم المسجد على إصلاح ذاتِ بينَكم، وأن يقدم كل أحمدي بعمله صورة جميلة للإسلام لأهل هذه المنطقة. يجب أن يتأثر الأحباب والأغيار من تلك الروح التي يولّدها الذين يعبدون الله حقًا فيما حولهم. يجب أن ينعكس في تصرّفات كل أحمدي ذلك التعليمُ وتلك الأمنية التي عبّر عنها المسيحُ الموعود عليه الصلاة والسلام بقوله: يجب أن تصبحوا قدوة للآخرين في الحلم والحب المتبادل والمؤاخاة. فهذه النماذج الرائعة للحب والوئام والمؤاخاة تنفع أفراد الجماعة والأغيار على سواء. إن هذه النماذج الجميلة إذ تُكسبكم حبَّ الله وترفع مستوى تقواكم، فإنها تجذب أنظار الأغيار إلى تعاليم الإسلام الجميلة، مما سيفتح مجالات جديدة للدعوة والتبليغ.

يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في دعاء له لجماعته:

أسال الله تعالى أن يطهّر قلوب جماعتي هذه، ويمدّ إليهم يد رحمته ليصرف إليه قلوبهم، ويخرج كل شر وحقد من صدورهم، ويهَب لهم حبًا صادقًا. نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا ورثة لهذا الدعاء.

والمقتبس الذي قرأته في البداية، ينبّهنا فيه المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام إلى ضرورة التواضع والانكسار بوجه خاص. وهذه الخصلة أيضا ستزيدنا حبا، وتنبهنا إلى ضرورة أداء بعضنا حقوق بعض، كما تجتذب أنظار الأغيار إلينا. لقد بين الله تعالى أن من علامات عباده أنهم (يمشون على الأرض هونا)، أي يمشون في الأرض متواضعين. فخُلقُ التواضع يخلق في الإنسان تلك الروح التي تقرّبه إلى الله تعالى، كما تزيد المجتمع زينة، وتضفي على علاقات أبناء المجتمع جمالاً أكثر، وتقضي على الأحقاد وتزيد المحبة.

ثم إن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام قد حث على الصدق والسداد خاصة. الحق أن المتقي يعمل الصالحات كلها، وهذا هو تعريف التقوى في الواقع، فمَن عرف حقيقة التقوى نال كل شيء. غير أن الحث على بعض الجزئيات ضروري، لأن بعض الأعمال الأخرى يرفع مستوى التقوى، ولذلك قد أوصانا الله بالصدق والقول السديد خاصة فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا). وقد تناولتُ تفسير هذه الآية مفصلاً في إحدى الخطب قبل حوالي ثلاثة أسابيع. باختصار إن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام قد أوصى الذين يحضرون الجلسة السنوية بنية التقدم الروحاني برفع مستواهم الروحاني وإصلاح أنفسهم، وعندها يوفون حق الحضور في هذه الجلسة. فلا بد من التحلي بالصدق والقول السديد الذي لا عوج فيه، فهذه صفة أساسية لا بد منها. فارفعوا مستوى صدقكم لتحققوا الهدف الذي من أجله أتيتم هنا. وحينما يرفع كل أحمدي مستوى صدقه فيوضع في قوله تأثير، فيصبح من الذين يساعدون في نشر دعوة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام وتحقيق غاية بعثته.

والغاية التي بعث عليه السلام من أجلها هي أمران: الأول أن يعرّف العبادَ على ربهم ويوصلهم به سبحانه وتعالى، والثاني أن يجعل الناس يؤدون حقوق غيرهم من عباد الله. وكلا الأمرين يتطلب منا التقوى والورع والتضحية، وهذا يتطلب منا إحداث تغييرات طيبة في سلوكنا. لن نستطيع إيصال العباد بالله تعالى ما لم تكن لنا علاقة قوية بربنا. وفيما يتعلق بأداء حقوق بني جنسنا فلن نتمكن منه ما لم نتحلَّ بالتواضع والانكسار والصدق والحب والأخوّة وعاطفة التضحية. فعلينا في هذه الأيام الثلاثة أن نفحص أنفسنا فيما يتعلق بهذه العاطفة والعلاقة لنتطور فيها بإذن الله تعالى، لكي نحقق الغاية من حضور الجلسة السنوية، ونحقق أمنية المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. فحريٌّ بكل أحمدي، وبكل من يشترك في هذه الجلسة أن يسعى جاهدًا في هذه الأيام الثلاثة كلها لرفع مستواه في التقوى وإصلاح سلوكه. كما عليكم أن تسألوا الله التوفيق لذلك. ندعو الله تعالى أن نكون من الذين يحققون غاية حضور هذه الجلسة فعلاً. آمين.